يوم دراسي لمركز القطان

البحوث الإجرائية في المجال التربوي

عقد مركز القطان للبحث والتطوير التربوي يوما دراسيا في 2001/1/12 بعنوان (البحوث الإجرائية في المجال التربوي) وذلك في قاعة مدرسة الفرندز، وقد استضاف في هذا اللقاء الخبيرة التربوية في مجال البحوث الإجرائية جين ماكنيف من اسكوتلندا والبروفيسور أندريه مزاوي اللذين قدما مداخلتين في مجال البحوث الإجرائية كما استضاف المركز الأستاذة أوني آهلين من النرويج التي قدمت دراسة موازنة ما بين التعليم في فلسطين والتعليم في اليابان. وقد قدم باحثو المركز أبحاثا في مجال البحوث الإجرائية كانوا قد نفذوها بالتشارك مع طالبات كلية العلوم التربوية – رام الله. تلت ذلك تعقيبات من كل من د. ماكنيف ود. مزاوي حول هذه الأبحاث. وقد شارك الأساتذة والتربويون المشاركون في اللقاء في تقديم مداخلاتهم وآرائهم حول ما قدم في مجال البحوث الإجرائية من حيث كونها التجربة الأولى في فلسطين في هذا المجال.

د. فؤاد المغربي: (اليد اليمنى لا تدري ما تقوم بعمله اليد اليسرى)

في مفتتح اللقاء قدم د. فؤاد المغربي (مدير مركز القطان للبحث والتطوير التربوي) مداخلة ترحيبية، كما قدم عددا من الملاحظات المتعلقة بعمل المركز في مجال البحوث الإجرائية جاء فيها: «لا تنبع أهمية البحث الإجرائي من أنه يمكن أن يفيد ويساعد في تطوير مستوى معرفة المعلم وأدائه فقط، بل إنه يفرض على الباحث أن يتعامل مع المعلم على قدم المساواة. بالنسبة لنا فإن فريق البحث في المركز، وفي مجتمع فردي كالمجتمع الفلسطيني يتطلب أن يعمل كفريق، في إطار عمل تعاوني، فالناس هنا يتعلمون ويغيرون من تصرفاتهم كي يتمكنوا من العمل معا كفريق، إن أمر بناء فريق بحثي يعمل معا هو أمر في منتهى الصعوبة. حاولنا في المركز بناء نظام وفريق عمل وتشجيع العمل الفريقي والعمل التعاوني، وهذا لا يعني أن يتفق الجميع على كل شيء، لأن الاتفاق يفضي إلى (تفكير المجموعة) الذي هو ظاهرة في علم النفس، وهي ظاهرة سلبية تتحدث عن أشخاص يعرف بعضهم بعضا ويتعاملون مع بعضهم البعض كمجموعة صغيرة، تتفق لأنها لا ترغب في ظهور الخلافات فيما بينها، أما نحن فنحبذ ظهور الخلافات، فالخلاف والنقاش يفضيان إلى التطور، فهناك معايير لتنظيم الخلافات والإفادة منها. نحن نبحث في كل شيء معا، و نحن نقرر كل شيء معا، نحن لا نقيم ورشات في الديمقراطية بل نعمل على تطبيقها في ممارساتنا اليومية. لا يكفي أن نعمل فقط في مجال البحوث الإجرائية، فالمركز يعمل في مجالات أخرى أيضا، لدينا قناعة بأن لدينا وسائل أخرى يمكن تطويرها والوصول إلى استنتاجات مهمة لعملنا. سنحاول العمل على تحليل المناهج الفلسطينية الجديدة، إن أحد الأهداف الأساسية لنا هو تطوير طاقم بحثي يعمل على تقييم المناهج الجديدة. نحن سنلعب دورا مساندا لوزارة التربية والمؤسسات الأخرى، سنعمل مع مدارس، حكومية وأخرى تابعة للوكالة، نحن لا نتحدث عن تبني مدارس بل العمل المكثف مع بعض المدارس وتقديم المساعدة البحثية والتربوية، كما نعكف حاليا على تطوير برنامج مساقات صيفية في مواضيع مختلفة، وهي مواضيع سنتوخى أن تكون جديدة، وسنستضيف خبراء في هذه المجالات. لا نستطيع أن نحقق أهدافنا دون مساعدتكم (كوزارة، كمعلمين، وتربويين، ومؤسسات) لدينا مؤسسات كثيرة تعمل في موضوعات مختلفة، ولكن المشكلة القائمة في هذا البلد أنه لا يوجد تنسيق، فكل مؤسسة تعمل بشكل منغلق عن الأخرى، فاليد اليمنى لا تدري ما تقوم بعمله اليد اليسرى.فمن الضروري خلق حوار فيما بيننا وتطوير شبكة من العلاقات.

د. جين ماكنيف: (ونحن نخلق حقائقنا من أفكارنا)

تناولت د. ماكنيف في مداخلتها (البحث الإجرائي والتعلم المهني للمعلم) مجموعة من المبادئ الجوهرية والمحاور الأساسية في مجال البحوث الإجرائية استنادا إلى تجربتها، وإلى مؤلفاتها العديدة في هذه المجال

ومما جاء في مداخلتها .... «من المهم لي أن أقول وأن توافقوا على ان ما سأقوله ليس هو الحقيقة، ولكنه أفكار، ونحن نخلق حقائقنا من أفكارنا التي قد تتغير خلال عملنا... إن البحث الإجرائي هو شكل قوي من أشكال التعلم المهني، هو ليس الجواب هو أحد الأجوبة للأسئلة التي نسألها، لذلك فمن المهم أن نطرح الأسئلة اكثر من البحث عن إجابات، البحث الإجرائي يستخدم في سياقات متنوعة، في التربية الإدارية، تربية التمريض، التربية الشُرطية....ولكنه بدا معروفا اكثر في مجال تربية المعلمين حيث بدأ كظاهرة، و اليوم هناك حجم هائل من الأدبيات التربوية في العالم الخاصة بتربية المعلمين.

إن حياتي الأساسية هي بصفتي معلمة وليس كأكاديمية، إن هويتي الأساسية هي أنني معلمة، المعلمون لا ينظر إليهم على أنهم عارفون، أو ممتلكون للمعرفة النظرية، وهذا أمر محزن، وليس أخلاقيا أيضا، لأن المعلمين كأناس في مقدمة العاملين في الممارسة الحياتية في المدارس، فهم يساعدون الأطفال على خلق هوياتهم كما يبتغونها، وفي خلق المجتمع الذي يرغبون في العيش فيه. والمعلمون يحتاجون للتقدير والتشريف. يجب النظر إلى ما يقوم بعمله المعلمون في صفوفهم حول عمل بحثي ذي نوعية جيدة، ومتصل بنظرية جيدة ولكنها ليست نظرية تقليدية.

(أنا) أدرس (نفسي) لكن ذلك لا يعني بأني أدرس في صورة منعزلة، بل يعني أنني على علاقة بأشخاص آخرين يدرسون أنفسهم أيضا، وعلاقتنا هي علاقة بطريقين، فكمعلمة ادرس عملي لمساعدة المعلمين في عملهم بما تعلمته منهم، نحن نتعلم من بعضنا البعض. (أنظر النص الكامل لورقتها في مكان آخر من النشرة)

د. اندريه مزاوي: (ضرورة التساؤل الذاتي المستمر حول صحة موقفي كمعلم)

وقد ركز د. مزاوي في مداخلته على موضوع التكافؤ في الفرص التعليمية، ومما جاء فيها قوله: «إذا رغبنا في مواجهة إشكاليات متعلقة بالتكافؤ في فرص التعليم من هذا المنظار فنحن حقيقة نتسا ءل من قبيل: إلى أي مدى هناك سياسات تمكن طلابا مختلفين في خلفياتهم من الوصول إلى النتيجة التعليمية نفسها؟ إذا نظرنا إلى مستوى معين في التحصيل في مجالات كالرياضيات أو الفيزيا ء أو غيرها أو الحصول على التوجيهي، فنسب النجاح في التوجيهي مثلما نرى بصورة واضحة تمام لا تتوزع بصورة متساوية، وتعكس إشكاليات عدم التساوي في الفرص في المجتمع. الصعيد الثاني الذي يمكن من خلاله النظر يرجع إلى ما يحدث في حجرة الصف، ويرجع إلى المفاهيم والمناخ الذي تنتجه العملية التعليمية، هناك أبحاث كثيرة في معظمها ذات طابع كيفي تستند إلى المشاهدات داخل الصفوف، والمقابلات الموسعة مع المعلمين والطلاب وهي ترمز إلى أن أنماط التعامل والتفاعل ما بين المعلم والطالب رغم أنها ترتكز على تنشئة المعلم، فمثلا، في النظام البريطاني ترتكز على 63 مهارة اكتسبها المعلم في دار المعلمين». وقد تحدث بإسهاب عن أدوار المعلمين في حجرة الصف: «بمفهوم آخر، نحن نأزجتي لا ءزجك ةاواسملا مدع عنصن ،نيملعمكمن عملنا، وفي حالة اقتصار تدخلنا على أن لدي شهادة تأهيل تسمح لي بممارسة مهنة التعليم، وأعرف كيف تحضر خطة الدرس، واستعمل المجسمات بصورة صحيحة، أعرف طرق التدريس عبر المجموعات، ولكن دون التطرق إلى القيم الأساسية ومنها القدرة على الاستماع (الاستماع لأصوات، أحيانا تكون أصواتا خفية، فالطلاب في بعض الأحيان لا يستطيعون التعبير عن أنفسهم) والقدرة على العطف والتسامح والنقد الذاتي، والتساؤل الذاتي المستمر حول صحة موقفي كمعلم» وقد خلص إلى تقديم اقتراح في هذا السياق تمثل في «أن هناك إمكانية للتغيير إذا ما كنا واعين، كمدرسين، للأبعاد الاجتماعية لطرق تدريسنا وقراراتنا وأفكارنا وللفرضيات الأساسية التي تستند إليها طرق التدريس التي نتبعها في حجرة الصف، وإلى أي مدى هي عادلة؟ وإلى أي مدى تتيح فرصا متكافئة للبنين والبنات، ولأشخاص ينتمون إلى خلفيات اجتماعية ومواقع جغرافية مختلفة؟ إلى أي مدى طريقة التعليم التي اتبعناها تسمح للطالب في التعبير عن نفسه؟ إلى أي مدى تستمع قبل أن تحكم؟ (أنظر إلى المداخلة في مكان آخر من النشرة).

إن حياتي الأساسية هي بصفتي معلمة وليس كأكاديمية

■■■

بمفهوم آخر، نحن كمعلمين، نصنع عدم المساواة كجزء لا يتجزأ من عملنا

أوني آهلين: (المعلمون ...عمل أكثر ومكافآت أقل)

وقد أشارت أوني آهلين من النرويج إلى أنه «ومنذ أن تسلمت السلطة الفلسطينية مهماتها حدث الكثير من التغييرات، منها أن معظم المعلمين يتعرضون لبرامج تدريب منتظمة إضافة إلى الموجهين والمديرين، وقد ازداد إحساسهم بالكرامة والمعرفة، وبأساليب التعليم الحديثة إذا ما قورن ذلك مع فترة الاحتلال الإسرائيلي».

وقد وصلت إلى العديد من الاستنتاجات المدعمة بمقابلات مباشرة مع المعلمين والمشرفين والمديرين قامت بتلخيصها في نهاية ورقتها: « بذلت الجهود لرفع معايير التعليم في المناطق الفلسطينية... ولكن وفي الوقت الذي توسع فيه عمل المعلمين، وأصبح اكثر من ذي قبل، فإن التأثير والمكافأة المادية باتا أقل، مع أن التدريب الذي مروا به كان جيدا ، وعلى صلة بعملهم.

وفي الجزء الثاني من اليوم الدراسي أدارت الجلسة البحثية د. تفيدة جرباوي حيث قدم الباحثون في مركز القطان تقاريرهم البحثية حول عملهم مع معلمات ما قبل الخدمة خلال العام الماضي، وقد تم تقديم أربعة تقارير بحثية.

مها قرعان: (تطوير وتنفيذ وحدة جيولوجيا للصف السادس من خلال البحث الإجرائي التعاوني)

قد بدأت الباحثة مها قرعان مداخلتها في مجال «تطوير وتنفيذ وحدة جيولوجيا للصف السادس من خلال البحث الإجرائي التعاوني» بالإشارة إلى دوافع البحث الإجرائي وأهدافه «وجدت مجموعة الباحثين في مركز القطان للبحث والتطوير التربوي أن استخدام الطريقة الإملائية تشكل معضلة للمعلمين والطلبة. وقامت المجموعة بطرح البحث الإجرائي التعاوني كتوجه لإصلاح الوضع التربوي، حيث شكلت أربعة فرق بحثية مكونة من خمس طالبات متدربات من كلية العلوم التربوية، وباحث أو اثنين من المركز، ومعلمة أو معلمتين من المدارس التدريبية. وتصف هذه الورقة تطوير وتطبيق وحدة جيولوجيا للصف السادس قامت بها إحدى المجموعات البحثية باستخدام المنحى التكاملي. وقد هدف البحث إلى تفعيل المعلمات من خلال مشاركتهن في البحث الإجرائي التعاوني الذي يتوقع أن يؤدي إلى تدريس فعال يشرك الطلبة في أنشطة تعلمية ذات علاقة بواقعهم وحياتهم اليومية» كما اشارت إلى أهمية المنحى التكاملي في التفكير، حيث قالت «يساهم المنحى التكاملي في جعل مفاهيم الوحدة ذات معنى للطلبة. وقد أشارت جرباوي وقرعان1997) في دراستيهما إلى باحثين آخرين استخدموا المنحى التكاملي في ربط مفاهيم وحدة بالمفاهيم في مواضيع أخرى يدرسها الطالب وفي الحياة اليومية. ويطور ربط المفاهيم بعضها ببعض قدرة الطلبة على التذكر وحل المشكلات والقدرة على التفكير».

من اليسار إلى اليمين (د.جين ماكنيف، فؤاد المغربي، د. اندرية مزراوي، أوني اهلين)

ليانا جابر ورائد شماسنة: (توظيف الأبحاث الإجرائية التعاونية في التعامل مع الفروق الفردية – قضايا ومضامين)

واشار الباحثان ليانا جابر ورائد شماسنة في بحثهما «توظيف الأبحاث الإجرائية التعاونية في التعامل مع الفروق الفردية قضايا ومضامين» إلى أن هذه التجربة تهدف إلى «تنمية قدرة المعلم (المتدرب وأثناء الخدمة) على التعامل مع الفروق الفردية بأساليب تعليمية/تعلمية متنوعة، هذا وقد تطور هدف آخر أثناء القيام في البحث الإجرائي ضمن الهدف السابق ويتمثل في تنمية قدرة المعلم على التأمل في ممارساته وسلوكه أثناء الحصة بهدف تحسين أدائه المستقبلي ومعالجة ما يطرأ من مشاكل تواجهها المعلمات المتدربات أثناء الدورة التدريبية التي استمرت لثلاثة أسابيع.

أما الأساليب التي هدف المشروع إلى تنمية مهارات المعلم فيها فكانت: التعلم التعاوني، التعلم بالاكتشاف، التعلم في مجموعات متجانسة، وحل المشكلات.

هذا وقد انبثقت أثناء التجربة أهداف فرعية:

- تنمية قدرة المعلمات المتدربات على إدارة الصف.
- تنمية قدرة المعلمات المتدربات على معالجة طالبات من ذوي الاحتياجات الخاصة.
- تنمية قدرة المعلمات المتدربات على التخطيط بأساليب مختلفة.

موسى الخالدي ونادر وهبة: (توجه العلوم والتكنولوجيا والمجتمع كجزء من منهاج العلوم الفلسطيني: الثروة المائية في فلسطين)

أشار الباحثان موسى الخالدي ونادر وهبة في بحثهما «توجه العلوم والتكنولوجيا والمجتمع كجزء من منهاج العلوم الفلسطيني: الثروة المائية في فلسطين» – إلى تجربتهما من خلال تطوير وحدة دراسية كإطار عام للمشروع، وبتبني سياق مناسب من خلال توجه تعليم «العلوم والتكنولوجيا والمجتمع» (STS) في العلوم الذي وفر جوا أكثر مرونة تم من خلاله دفع المعلمات للتأمل في ممارساتهن بهدف تغييرها. فمن ثنايا المشروع ظهر أن معلمة ما قبل الخدمة كانت تواجه مشكلة إدارية في الصف بسبب السرعة في طرح الأسئلة لاعتقادها بضرورة الاستمرار المتواصل في طرح الأسئلة طوال الحصة للمحافظة على انتباه الطالبات. كما تبين أيضا أن المعلمة أثناء الخدمة كانت تواجه مشكلة تكمن في تجاهلها بعض الطالبات لاعتقادها بعدم قدرة هؤلاء الطالبات على تعلم العلوم. تمكنت هاتان المعلمتان من حل مشكلتيهما من خلال عمليات التأمل في ممارستيهما والحوار الذي دار بين فريق البحث، حيث خلق هذا الحوار وعمليات التأمل جوا من عدم الرضى الذاتي للمعلمتين بشأن ممارساتهن السابقة مما أدى إلى تغيير هذه الممارسات وبالتالي تغيير تلك المعتقدات. كما أظهر البحث أهمية العمل المشترك بين معلمات ما قبل الخدمة ومعلمات الصف في خلق جو من الحوار التأملي المستمر لتسهيل عملية التغيير».

وسيم الكردي: (التأمل والتساؤل وإنتاج المعنى عبر القص)

كما ركز الباحث وسيم الكردي في بحثه «التأمل والتساؤل وإنتاج المعنى عبر القص» على أهمية التفاصيل التي يتم التعرف عليها عبر التأمل والتساؤل الذي يثيره من خلال سرد التجربة وقيمة ذلك في إحداث تغيير يبدأ من الاصطراع الداخلي لدى المعلم «وحينما نتحدث عن التأمل في حجرة الصف فإنه يحدث في ثنايا عملية عديدة ومعقدة؛ من نظر ومشاهدة ومراقبة، وكلام وكتابة (أسئلة ومداخلات ومراجعات، وحوارات.....) ومن اجل أن يغدو هذا التأمل فعالا لا يكتفي بما يثيره في الذهن من صور وردود فعل وإجراءات، إن ذلك قد يحدث في حجرة الصف، ولكن التعمق في صورة ما يجري، هو محاولة الاستعادة، استعادة ما جرى، والوسيط في ذلك هو الذاكرة، التي تدفع بالمعلم عبر عالم التخيل إلى استحضار الحالة الصفية، وإعادة إنتاجها مرة أخرى، كي لا تبقى أسيرة الذاكرة التي قد تكون موارية وخادعة غالبا، ولذلك فإن المسافة الزمنية الفاصلة ما بين لحظة الاستحضار ولحظة المستحضر تلعب دورا مؤثرا على ما يتم استحضاره، فهل هي صورة ما جرى أم صورة أعادت إنتاجها الذاكرة مرة أخرى؟!

جانب من الحضور في اليوم الدراسي

ويلجأ الناس في العادة إلى وسائط توثيقية كي يثبّتوا لحظات مرة، فأحيانا يتم اللجوء إلى التصوير بالفيديو، الذي لا يمكن الاعتماد عليه تماما، غير أنه يلعب دورا بارزا في تنشيط الذاكرة، وإعادة إحياء تلك الحالة المراد استرجاعها مرة أخرى، أو يتم اللجوء إلى الكتابة، والكتابة حالة ثقافية تثبت ما يتم استحضاره، ولكنها لا تستطيع استحضار الصورة «الكلية – الكاملة» فهنا تلعب اللغة غوايتها، وتحدد ممكناتها بناء على منتجها، وهي ذاتها قابلة لإعادة تأويلها وتفسيرها مرة أخرى بحيث تتيح تأويلات أخرى من قبل منتجها ذاته ومن قبل قرائها أيضا.

لذلك فقد لجأنا، في تجربتنا، إلى التعبير من خلال القص، فالقص حوار، وبه نحاول أن نعيد إنتاج خبرتنا بواسطة الكلام».... وهذه العملية في الواقع تجربة تفكير، بمعنى أننا لا نعطي فكرتنا بواسطة الكلام الداخلي أو الخارجي. فهي تتقدم في اللحظة وكأنها وميض البرق، ولكن يبقى علينا بعدئذ امتلاكها. فهي تصبح ملكنا بواسطة التعبير. إن تسمية الأشياء لا تأتي بعد التعرف عليها بل هي التعرف بالذات...» مرلوبونتي (1998).

وفي نهاية التقارير البحثية جرى حوار حول ما تم تقديمه، وسنشير في هذا التقرير إلى عدد من الملاحظات والأفكار التي قدمها المشاركون في اليوم الدراسي:

د. إبراهيم أبو لغد:

الملاحظة الأولى: أريد ان أهنئ الباحثين والمشاركين جميعا، فالمداخلات، حقيقة، هي قيمة جدا، وأعتقد ان هناك مساهمة رائدة في العمل التربوي الذي تم التعبير عنه في هذا اليوم. الملاحظة الثانية وسآخذها من مداخلة

جانب من الحضور في اليوم الدراسي

وسيم، أنا سعيد أن أى محاولة جيدة في العلوم الإنسانية لكي تحقق النتائج التي تعودنا أن نخرج بها من العلوم الاجتماعية والبحوث الاجتماعية التي ليست بالضرورة إنسانية، حيث يمكن أن نصل إلى الحقيقة بوسائل متعددة وبالارتكاز على مفاهيم ومنهجيات مختلفة، ربما يمكن أن نصل إليها.
أما الملاحظة الثالثة: في من المفيد ان نثبت للمدرس أهمية النظر إلى ما يجري في صفه من تفاصيل وسلوكيات عن طريق التسجيل والمشاهدة، أعتقد أن هذا عمل مهم في إحداث تغيير في العملية التعلمية، وبخاصة في مجال أن يبدي المعلم اهتماما كاملا بجميع المجموعات في الصف».
ثم تساءل د. أبو لغد قائلا: لدي سؤال يتعلق بالإطار الزمني الذي أنجزت فيه هذه التجارب، إن النتائج التي قدمتموها إيجابية في مجملها، وبخاصة في مجال حدوث تغيير في هذه السرعة، فأنتم تؤكدون وجود تغيير قد حدث، فما هي المعايير التي استخدمتموها للوصول إلى هذه النتائج؟»

د. ماهر الحشوة:

أود أن أشكركم جميعا على الأبحاث التي قدمتموها وأشكر مركز القطان على الفرصة الفريدة للاستماع إلى: أولا: الخلفية النظرية في الموضوع، وثانيا: الأبحاث التي قدمت، وأقدم شكري لكم على نوعية الأبحاث التي قدمتموها، بصراحة لأول مرة في البلد استمع إلى أبحاث عميقة بهذا المستوى في المجال التربوي، وأعتقد أن هذا أمر يشرفنا جميعا، بدلا من الاستبانات والإحصاءات والطحن الميكانيكي للمعلومات واستخدام SPSS وغيره. لدي تعليق اكثر منه سؤالا لأشياء أعتقد أنها جديدة جدا في عملكم، وقد لاحظتها في بحثين أو ثلاثة، وأعتقد انه من المفيد ان نفكر فيها جميعا في مجال علاقة الأبحاث الكيفية وبالذات استخدام أسلوب البحث الإجرائي في تطور المعلم، وهي أمور نظرية وردت في بعض الأبحاث، التركيز أولا على الصراع الذهني وأهميته في إحداث التطور المهني للمعلم، أعتقد أنه قد كتب الكثير حول النمو المهني للمعلم، ولكن قلة من الناس قد ربطوا الصراع الذهني كآلية هامة في التغير والنمو المهني للمعلم وهو يبرز في كثير من أبحاثكم. كما أود الإشارة إلى قضية أخرى تتعلق ليس فقط بأهمية الحوار الداخلي والتأمل، بل بقدر التفكير بالحوار الخارجي الذي حدث في المجموعات ولم أر تركيزا كبيرا عليه في أبحاثكم، فإلى أي مدى التداول في المجموعة نفسها أثر على الشخص ودفعه في النهاية إلى التأمل ومحاورة نفسه ذاتيا، أعتقد أن للجانبين أهمية مع أن أوراقكم ركزت على الجانب الداخلي».

ما هي المعايير التي استخدمتموها للوصول إلى هذه النتائج؟

■ ■ ■

«علموا أولادكم بغير علمكم فقد خلقوا لزمان غير زمانكم»

د. سمية المحتسب

واضح ان ما يقدم هو فريد ونأمل ان تستمر الجهود وان تشمل فئات أوسع للعمل في المشاريع نفسها أو في مجالات أخرى، أريد أن أقدم دلائل على أهمية البحوث الإجرائية، لدي بحث ما زلت اعمل عليه، وجدت الكثير مما يؤيد هذا النوع من الأبحاث وبخاصة بحث نادر وموسى في مجال العلوم، ومساهمة STS في تحسين مستوى التنور العلمي عند الطلاب، خصوصا في محور رئيسي وهو فهم طبيعة العلم، وللحقيقة فإن تجربتهم أدت إلى تحسين في كثير من هذه الجوانب منها طبيعة فهمهم لطبيعة المعرفة العلمية، وأهمية الطريقة العلمية. ومن النتائج التي توصلت إليها أن الطلاب قد استعملوا اللغة العلمية، وقد تحسنت إلى حد بعيد، ومارسوها في تفسيرهم لبعض المشكلات البيئية.

الأستاذ كمال حنون

ما سمعناه اليوم من تجارب عملية أو من محاضرات نظرية ينصب على شيء مهم وحيوي في الحياة ألا وهو عملية التغيير، وما قدمه الأستاذ وسيم من أمور فلسفية حقيقية ينصب على عملية التغيير، يحضرني الآن قول لعلي بن أبي طالب الذي يقول «علموا أولادكم بغير علمكم فقد خلقوا لزمان غير زمانكم» إن التطور الذي نرغب في إحداثه ينصب على عملية التدريب والتطور المهني للمعلمين ان يكون هناك تدريب سواء أكان ذلك على المستوى الرسمي أم في القطاعات المسؤولة الأخرى، ان يكون هناك تخطيط مبرمج لهذه العملية في مجال ماهية التغيير الذي نريد أن نحدثه، بعيدا عن العملية الكمية التي تحصل الآن، وأود ان أشير إلى أنه

وبالرغم من وجود التدريب إلا أن التغيير على المستوى الرسمي ينصب على تغيير المواقع والوظائف أكثر من التخطيط لعملية التغيير».

د. خولة الشخشير:

«تساءلت د. الشخشير حول اختيار المعلمات والمدرسة التي أجريت معها الأبحاث، وتركيز التجارب الأربع على معلمات متدربات، تساؤلي: هل اختيار مدارس الإناث يرتبط بمرونة اكبر، بسهولة اكبر في التعامل؟ وفي هذا الإطار فإنني أطلب من مركز القطان أن يعمل أيضا مع مدارس الذكور، حيث نعرف كعاملين في الحقل التربوي بأن هناك مشاكل مختلفة ما بين مدارس الذكور ومدارس الإناث».

الأستاذة فريال منصور:

«شكرا على إعدادكم لهذا اليوم وللأبحاث التي قدمتموها، الأبحاث التي قدمتموها جيدة، ونتائجها جيدة كما لمسنا من كلام الزملاء. أريد أن أعرف مصير هذه الأبحاث هل ستعمم على المدارس؟ هل سيتم التنسيق مع الوزارة لتعميمها على المدارس، فهي أبحاث قيمة؟»

الأستاذ وحيد جبران:

«لقد تعلمت الكثير، وأثمن هذه التجربة وهذا النشاط، ولدي بعض التساؤلات: هل ما تقومون به حقيقة هو بحث إجرائي؟ خاصة إذا عرفنا بأن الباحث يبحث فيما هو غير معروف».

د. سعيد عساف:

«أي شخص اشتغل في مجال الأبحاث وفي العمل التربوي فإنه يقدر الجهد الذي بذله الزملاء والزميلات، وأود الإشارة إلى قضية أخرى، من الجميل أن يعرفها الزملاء، وأنا أتحدث من منطلق عملي في وزارة التربية والتعليم، لدينا مجموعات موزعة في كل المديريات اسمها «مجموعات البحث الإجرائي» وعدد أفرادها يتجاوز 200 شخص، يشتغلون في هذا المجال، من مشرفين ومديرين ومعلمين.

إن البحث الإجرائي من الشخص ولمصلحة الشخص ولمنفعته، فلا يجوز في عملي أن أقوم بعمل بحث إجرائي على مهام يقوم بها أشخاص آخرون، فهنا لا يعود هذا بحثاً إجرائياً، لذلك في المدى العام وفي انتشار الفكرة فإن الناحية الفردية ستلعب دورا كبيرا، لأنه لا يمكن أن يتواجد في كل مرة فريق من 6 إلى 7 أشخاص باستمرار لأن لذلك تكلفة»

من اليسار إلى اليمين (وسيم الكردي، د. نفيدة الجرباوي، مها قرعان، ليانا جابر، نادر وهبة)

قامت د. جين ماكنيف بالتعقيب على الأبحاث الإجرائية التي عرضها الباحثون في المركز في نهاية اليوم الدراسي ونظرا لأهمية ما طرح، رأينا أهمية نشر ذلك في هذا العدد من مجلة رؤى، راجين أن تكون له فائدة في توضيح فلسفة البحث الإجرائي.

شكرا لإتاحتكم لي المجال للتعقيب. لقد كان يوما رائعا وتجربة نادرة تعلمنا منها جميعا. كما أنها تجربة غنية لي شخصيا، حيث سمعت من أشخاص اندمجوا بالفعل بإشكاليات كبيرة وبدافعية عالية لإحداث تغيير اجتماعي حقيقي. وأريد أن أعقب على القضايا التي أثيرت اليوم. أثار الحضور اليوم خاصة في الساعة الأخيرة منه قضايا نقدية خاصة بالبحث الإجرائي، وهذه القضايا يمكنها ان تشكل بداية ليوم آخر من المحاضرات حول البحث الإجرائي. سأرد على هذه القضايا منطلقة من السياق الذي أعمل به في البحث الإجرائي ويعمل به آخرون في مناطق أخرى من العالم في بريطانيا، وإيرلندا، والولايات المتحدة، وكندا. هذه هي السياقات التي أنا على دراية بها. أريد بداية أن أقول إن ما سمعته اليوم عما تقومون به في أبحاثكم الإجرائية هو في الحقيقة مختلف عما كنت أعرفه، وهذا طبيعي، لأن كل سياق وكل مجتمع مختلف عن الآخر. غير أن ما تقومون به يقف جنبا إلى جنب مع الأفضل في العالم، وهذه هي الحقيقة وليست مجاملة لكم. تحتاجون بالطبع إلى تطوير عملكم، غير أن ما أنجزتموه خلال عام واحد غير عادي، خاصة وأنكم تعملون في معزل عن الآخرين، وأنا معجبة جدا بما حققتموه. لقد مضى على وجودي في بلدكم يومان وقد قلت لكم منذ أن وصلت بأني معجبة بنوعية العمل الذي تقومون به.

سأنتقل الآن للقضايا التي تم طرحها، وقد قسمتها إلى أربع قضايا أساسية هي:

- قضايا خاصة بالمعرفة.
- قضايا تتعلق بمأسسة التغيير.
- قضايا خاصة بالبحث.
- قضايا خاصة بالتعاون.

بالنسبة لقضايا المعرفة: لقد قلت منذ البداية إن البحث الإجرائي ليس الأسلوب الوحيد ولكنه أسلوب مفيد جدا. فعندما نتعامل مع البحث الإجرائي، نكون قد انتقلنا إلى نوع جديد من المعرفة غير التقليدية حسب رأي شون. وتأتي الكثير من القضايا التي طرحت من النموذج التقليدي لاستكشاف المعرفة. مثل، أسأل

البعض أسئلة يطلبون إجابة محددة عليها ، وسأل آخرون أسئلة ترتبط بالعلاقة المباشرة بين النتيجة والسبب، وأعتقد أن هذه الأسئلة يجب ألاّ تطرح. نحن جيدون في توقع إجابات ولكننا لا نستطيع أن نعيش مع الأسئلة. ربما علينا ان نصبح أكثر راحة وثقة بعملية طرح الأسئلة. سأطرح عليكم مثالا من تجربتي الخاصة: عندما انتقلت من دراستي لماجستير الفلسفة إلى الدكتوراه كان علي أن أقدم محاضرة (وهذا إجراء عادي) حيث جلس هناك أربعة ممتحنين يوجهون لي أسئلة. ولا يزال أحد هذه الأسئلة ماثلاً في ذاكرتي: وهو كيف يمكنك أن تعرفي أن كل هذه التغييرات التي تتحدثين عنها ربما كانت ستحدث دون تدخلك؟ عندما سمعت الآن هذا السؤال: كيف يمكنك أن تجزمي أن هذه التغييرات التي حدثت ستستمر عندما تنسحبين من التجربة؟ أسترجع استجابتي للسؤال الذي طرحه الممتحن: وهو لا أدري! فكل ما أعرفه هو ان هذه التغييرات حدثت بوجودي وهذا عالم من المتغيرات المختلفة بحيث إنه لا يمكنك أن تعرف أن هذه التغييرات ستستمر عندما تنسحب. كل ما تعرفه أنك شجعت الأشخاص على البدء بالتفكير والاستكشاف، وأن يصبحوا ناقدين لممارساتهم، والأهم من ذلك أن يبدأوا باستكشاف الافتراضات التي تستند إليها ممارساتهم.

لذا ، أريد أن أشجعكم على الاستمرار بالعمل بالأفكار التي تمتلكونها ، إلا أنه لا يمكنكم التنبؤ بالمستقبل، أعني هذا النوع من الأسئلة: كيف يمكنكم التنبؤ باستمرار هذه التغييرات؟ هذه الأسئلة بحد ذاتها تأتي من نوع من المعرفة التي ترى أن لكل شيء نهاية معروفة، وأن هناك سببا ونتيجة، وأنتم لا تتعاملون مع هذا النوع من المعرفة وإنما مع نوع آخر من المعرفة. هذه قضية جدلية وأرى أن عليكم أن تتمسكوا بفكرة أنكم تنتجون نوعا جديدا من المعرفة ونوعا جديدا من النظريات.

القضية الثانية: مأسسة التغيير. أعتقد أن علينا أن نسأل أنفسنا لماذا نقوم بالبحث الإجرائي؟ لماذا لا نلعب الجولف بدلا من ذلك مثلا؟. ربما لأننا نعلم أن البحث الإجرائي يهدف إلى إحداث التغيير الاجتماعي كتغيير دائم وجدي. ذكرت بأني عملت في ايرلندا الشمالية وهناك شخص أحترم آراءه جدا ، وهو جون هيوم قائد إحدى الفرق السياسية هناك. وأنا لا أحترمه بسبب توجهه السياسي وإنما بسبب تفكيره. أحد الأشياء التي ذكرها هو أن التغيير يبدأ في عقول الناس. أنتم تعلمون أن أحد الأمور التي تشغل الكثيرين في ايرلندا الشمالية هي إلقاء الأسلحة. ويقول جون هيوم أن إلقاء الأسلحة لا يبدأ عندما يسلم الأشخاص أسلحتهم، وإنما يبدأ في عقول الناس.

كيف يحدث التغيير الاجتماعي؟

إنه يحدث بي وبك، في عقولنا وتفكيرنا..

■ ■ ■

البحث الإجرائي ليس إضافة لما تقوم به المؤسسات، وهو ليس شيئا ما نضيفه للممارسة. إنه الممارسة بعينها

كيف يحدث التغيير الاجتماعي؟ إنه يحدث بي وبك، في عقولنا وتفكيرنا، إنه نحن. نحن نتحدث عن التغيير ونقرأ عن التغيير، ولكن دعنا نضع التغيير على الطاولة، ما لونه؟ هل يمكننا تقطيعه؟ تحليله؟ وصفه؟ التغيير ليس ظاهرة خارجية، إنه نحن. الناس هم الذين يحققون وجودهم من خلال حوارهم مع بعضهم بعضاً ويخلقون مجتمعهم الذي يريدون العيش فيه. عملية التغيير هي نفسها في كل عمليات التغيير الاجتماعية والتربوية والمؤسسية. فكرة التغيير تعبر عن أناس يتحدثون ويتفاعلون مع بعضهم بعضاً باتجاهات جديدة، والعملية تبدأ في عقل الفرد. البحث الإجرائي منهجية تبدأ بالفرد. إنه الفرد الذي يسأل نفسه ما الذي يمكنني فعله لأحسن هذا الشيء. لا بد أولا من تحمل مسؤولية الفعل الشخصي، ثم تشارك المسؤولية مع الآخرين لفحص ما إذا كان الشخص يسير بالاتجاه الصحيح؟ وذلك من خلال الحوار والحديث مع بعضنا بعضاً أما بالنسبة لتكلفة البحث الإجرائي وعلاقته بالتغيير المؤسسي فأقول: البحث الإجرائي ليس إضافة لما تقوم به المؤسسات، وهو ليس شيئا ما نضيفه للممارسة. إنه الممارسة بعينها. يمكنك أن تقوم بالبحث الإجرائي بأي فعل تقوم به عادة. وعندما نستكشف ما يترتب على المؤسسات للقيام بالبحث الإجرائي نجد أن هذا أمراً هاماً، بمعنى أنه إذا ما كانت المؤسسات جادة بمساعدة الأفراد في أن يكون لهم صوت في النقاش العام، عليها أن تضع أنظمة وسياسات تشجع تلك الممارسات. ففيما يتعلق بالمدارس، إذا ما كان المديرون يريدون البحث الإجرائي، فعليهم دعمه. وإذا ما كانوا جادين في دعم المعلمين في دراسة ممارساتهم وتعديلها ، عليهم أن يتيحوا لهم فرصة التأمل والالتقاء ببعضهم وكتابة تقارير أبحاثهم الإجرائية والتحدث مع

بعضهم وهذا يترتب عليه بالطبع تبعات مالية. بمعنى أن المعلمين يحتاجون للوقت والدعم والتشجيع. كيف يطبق هذا في المؤسسة؟ يرجع ذلك إلى المؤسسة. غير أني أضع شرطا: إذا ما كانت المؤسسة مهتمة بالبحث الإجرائي ولا تدعي أنها مهتمة، لا بد لها أن تقوم بما يجب لدعمه.

عودة إلى ما تحدثت عنه سابقا فيما يتعلق بالمعرفة التقليدية، فإن الناس عادة ما ينتظرون إصلاحات سريعة ونتائج محددة بأقصى سرعة، غدا إن لم يكن قبل ذلك، وهذا لا يحدث عادة. فمن الصعب إيجاد علاقات مباشرة «واحد لواحد» كما في المعرفة التقليدية. كل ما نستطيع التوصل إليه هو التأثير في حياة الناس. وأحيانا ليس من المستطاع إحداث التأثير بسرعة، إذ ربما تكون عملية طويلة جدا ليظهر التأثير. إنها عملية تتطلب وقتا وجهدا ومصادر مادية، إلا أنها تستحق أن يبذل من أجلها الوقت والجهد والمال لأنها عملية تغيير اجتماعية وتعليمية حقيقية وطويلة الأمد.

قضية التعميم: هذه القضية تناولها الأدب التربوي بالتفصيل. والتعميم قضية لا علاقة لها بالبحث الإجرائي فهي تأتي من المعرفة القديمة. فنحن لا نتحدث هنا عن التعميم وإنما عن القيم والمبادئ التي تنتقل. ونتحدث عن التشارك في التعلم. نحن لا نقول إن ما نفعله في وضع ما يمكن تعميمه على أوضاع أخرى، فهذا هراء. كل ما نقوله هو: انظر إلى التعلم الغني الذي حصلنا عليه اليوم. ولكل واحد منا الحرية في أن يعود إلى سياقه الخاص وينقل إليه هذا التعلم الذي سيؤثر في ممارساتنا بالطبع.

قضية البحث: تحدث البعض عن المنهجية، جيد. أنتم ما زلتم شبابا وحديثي التجربة. وقد قمتم بالتجربة، وما قمتم به حتى الآن على قدر عال من الذكاء. ربما تحتاج المنهجية إلى بعض التعديل. نحن نتعلم، والدورة الثانية ستكون أفضل والتي تليها أفضل وأفضل. عندما أراجع أعمالي السابقة أدهش مما قلت وفعلت، وأخاطب نفسي: هل قلت حقا ذلك؟ وهذه هي الطريقة التي نتعلم بها. نحن لا نتعلم مما لم نفعله. جيد، عليكم الاستمرار فقد قمتم بعمل رائع. عندما أعمل مع مؤسسات يجعل الإداريون المعلمين يقومون بأبحاثهم الإجرائية، ويطلبون إليهم عرضها. وأقول أنا دائما للإداريين: لماذا لا تقومون أنتم بالبحث الإجرائي؟ ما حدث اليوم هو العكس تماما، فالداعمون هم الذين يقومون بالبحث. ولدفع عملية الاستكشاف إلى الأمام، وأعتقد أن هذه فرصة نادرة لكم للتقدم، يمكننا في المرة القادمة أن نستمع إلى المعلمين وهم يتحدثون عن أبحاثهم الإجرائية ويحدثوننا عن أثركم عليهم، وبالتالي ستكون قصص المعلمين دليلكم الصادق على تأثيركم عليهم، وهذا موجود في الأدب التربوي. لقد اطلعت على بعض الحالات من زملاء في شمال ايرلندا وكندا قام فيها الطلبة بالبحث الإجرائي. لذا أقول لكم أنتم هناك مع البقية. يمكنكم بسهولة تطوير عملكم بحيث تفسحون الفرصة للطلبة والمعلمين ليقوموا ببحثهم الإجرائي ويتأملون في ممارساتهم، لأنه عندها، ومن قصصهم عن تعلمهم ستتوصلون إلى مجتمع يتعلم فيه الأشخاص جميعا ويتشاركون في تعلمهم، ويتعلم بعضهم من بعض، ثم يعممون بحثهم كما فعلتم أنتم اليوم. لقد قمتم بتعميم أبحاثكم إذ قمتم بجرأة بدعوة الناس للاستماع إلى أبحاثكم والتعليق عليها، وهذا جزء من عملية البحث التشاركي.

قضية التعاون: لقد سررت بسماع أن هناك 200 معلم يقومون بأبحاثهم الإجرائية، وهذه فرصة ممتازة لأن نجتمع معا . لماذا لا نتحدث مع بعضنا؟ لماذا لا توجد شبكة تجمعنا معا، حيث نتبادل القصص والأبحاث والنتائج؟ ونعمل معا، ويساعد بعضنا بعضا لتطوير نوع جديد من الأبحاث، ونتشارك في الأفكار، وهذه هي الطريقة التي ينمو بها البحث. نحن بحاجة إلى التعاون والتشارك والنقاش، ونحتاج لأن تدعم الجامعات العمل. نحتاج لأن نضع معرفة وعمل المعلمين وأن نعترف بها جنبا إلى جنب مع النظريات التربوية التقليدية. ونحتاج من الجامعات التي ما زالت تعتبر الجسم الرائد للمعرفة، أن تمنح شهادات الماجستير والدكتوراه في مجال البحث الإجرائي للممارسين الذين يدرسون ممارساتهم، وأن نبني جسما جديدا متكاملا من الحالات الدراسية التي تؤكد لنا أننا نتوصل إلى نوع جديد من المعرفة، غير أنها لا تقع في القمة العليا للمعرفة النظرية التقليدية، ولكنها الممارسة التي ستنقلنا إلى غد أفضل. عمل ممتاز، عمل ممتاز.

وسيقوم المركز بإصدار الأبحاث التي قدمت في اليوم الدراسي في كتاب خاص بهدف التعرف على التجربة والتعمق فيها ومحاورتها.

من الصعب إيجاد علاقات مباشرة «واحد لواحد» كما في المعرفة التقليدية.